كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١. العقل اكبر آية من آيات الله تعالى و اعظم حجة من حجج الله سبحانه، أقامه على كل البشر و بنى عليه بنيان كلّ فريضة. و أسّس كلّ شريعة على معرفة الله، الذي بعبادته يتقرّب الإنسان إليه سبحانه و يرتقى الى أرقى مدارج الإنسانية و أسمى معالم البشرية، كما أشار سيّد الساجدين، الإمام عليّ بن الحسين صلوات الله عليه فى دعائه فى التحميد لله تعالى:

«الحمد لله الذى لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة و أسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرّفوا فى مننه فلم يحمدوه، و توسّعوا فى رزقه فلم يشكروه، و لو كانوا ذلک لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حدّ البهيميّة، فكانوا كما وصف فى محكم كتابه: إن هم الّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» (الصحيفة السجادية، دعاء ١)

٢. فيبدو ببداهة العقل أنّ العبادة تصحّ حين ما صحّت المعرفة. و فى غياب المعرفة يعمل الإنسان كما قال تعالى: «ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً» (الكهف (١٨)/ ١٠٣ و ١٠٤). ثم نرى انّ السّمع يؤيّد العقل فى العقائد الحقة، سيّما في توحيد الله سبحانه و معرفته عزّوجلّ بالجلال و الجمال و القدرة و الكمال.

من هذا المنطلق نرى أنّ من المحكمات عند العقل أنّ الله تعالى بائن من خلقه و خلقه بائن منه. و أيضاً من محكمات كتاب الله العزيز قوله عزّوجلّ: «ليس كمثله شى ء» (شورى(٤٢)/١١). هذه الآية القصيرة المهمّة تنفى أيّ تشبيه بالخالق من أيّ مخلوق بأيّة صورة يتصوّرها الإنسان و بأيّة دقّة يدقّ فيها و يجول فيه الفكر و الذهن.

٣. نرى هذا الكلام بتعبير آخر فى قوله عزّ و جلّ في سورة التوحيد؛ التى سمّاها الامام باقرالعلوم٧ ثلث القرآن (تفسير الصافى ج ٥ ص ٣٦٤). قال سبحانه: «قل هو الله أحد». و يعنى بذلک المتفرّد

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-30]

الذي لا مثل له و لا ندّ و لا شبيه له و لا نظير، «الذي لا يُحسّ و لا يُجسّ و لا يُدرک بالحواسّ الخمس» (الإحتجاج، ج ٢ ص ٣٣٢) و الذي ندعوه بهذه الكلمات المباركات: «قصرت الأوهام عن ذاتيّتک، و عجزت الأفهام عن كيفيّتک، و لم تدرک الأبصار موضع اينيّتک» (الصحيفة السجادية، دعاء ٤٧).

ثم نجد فى الخطب التوحيديّة الصادرة عن رسول الله و أهل بيته الأطهار: مؤيّدات و شواهد على هذه الحقيقة الفطرية المضيئة؛ منها كلام الإمام أبى الحسن عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه: «كنهه تفريق بينه و بين خلقه، و غيوره تحديد لما سواه» (التوحيد للصدوق، ص ٣٦)؛ يعني أنّ الله سبحانه متفرّد عن الخلق و خلوٌ منهم حتّى في غيريّته؛ فغيريّته مع الخلق تتفاوت غيريّة الخلق بعضهم بعضا.

من هذه الإشارة المجملة تنطلق حقائق هامّة حول التوحيد، الذي هو أُسّ أساس الدّين الحنيف و أبهى معالم الشّريعة الإلهيّة، لسنا في مقام بيانها في هذا المجال.

٤. ثمّ نرى ببديهة العقل ضرورة شكر المنعم إلينا أيّاً مَن كان، خصوصاً إن كان المنعم هو المنعم الوحيد للكلّ، و يجد العقل حقيقة كلامه تعالى شأنه: «و ما بكم من نعمة فمن الله» (النحل (١٦)/٥٣)؛ و يجد العقل أيضاً كثرة نعمه على الخلق، و صدق قوله سبحانه: «و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» (إبراهيم (١٤)/٣٧).

٥. فالإنسان يرى نفسه بين نقطتين مهمتين:

الأولى: ضرورة شكر خالقه بشكل يحبّه الخالق و يرضاه، لا بما يحبّ العبد و يرضاه، كما يحكم العقل السّليم عليه.

الثانية: عقيدتنا فى خالقنا أنّه «لا يعلم ما هو و لا أين هو و لا حيث هو و لا كيف هو إلّا هو» (مهج الدعوات، ص ١٥٣).

فما هى الوظيفة؟ و كيف نؤدي شكر النعم التي لا تُحصى حتّى يرضى المنعم عن عملنا في مقام شكر النعم؟

من هذه النقطة الهامّة تبدأ ضرورة وجود حجج الله و سفرائه على الخلق، الذين يعيشون فى الناس و معهم، لكن فى المستوى الأعلى من التقرّب إلى الله و عبوديته و أداء ما يجب لهم من الطّاعة و الإخلاص و الجهاد في سبيله.

٦. و هنا تظهر مشكلة أخرى:

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-30]

نحن نرى أناساً يدّعون السفارة عن الله تعالى، هذا من ناحية. و الإنسان يحتاج إلى تقويم هذه الإدّعاءات و معرفة الصادق من الكاذب، من ناحية أخرى. فكيف الطّريق إلى الحلّ؟

يطول الكلام في هذا المقام، و لكن لا مناص من كلمة واحدة نكتفى بها كقطرة من البحر. من حيث أنّ التقويم الالهى بإعطاء موهبة العصمة للانبياء:، بوصفهم سفراءُ من ربّ سبّوح قدّوس لا يظلم العباد و لا يرضى بظلم بعضهم على بعض. فرسول الله و نبيّه يجب أن يكون فيه آية من هذه القداسة و النّزاهة و الكمال، لكي يرشد العباد إلى طريق العبوديّة و يدلّهم على شوارع السماء، علماً بأنّه لا يوجد سبيل للبشر - بلا تعلّم من الأنبياء- إلى سلوک هذه الطرق و الشّوارع، و أنّ العباد يحتاجون نهاية الاحتياج إلى هذا السلوک.

٧. فإذن نقول: إنّ نبيّ الله - الممثّل لربّ سبّوح قدّوس - هو عبد مقرّب، معصوم من الخطأ و العصيان و الفجور و الخمور، بل هو معصوم من الإفراط فى الحبّ و البغض الذي يُعتاد فى البشر، و الذي ينشأ من إطفاء نور العقل الموهوبى فى ضميره.

فالنبيّ هو حجّة الله الظاهرة على الخلق؛ و يؤيد الحجّة الباطنة - يعنى العقل - و يساعده في كلّ حين و آن، كما أنّ العقل يدلّ على النبيّ المعصوم؛ لأنّ غير المعصوم لا يقدر على هداية العباد و إرشادهم في كلّ ما يحتاجون إليه.

٨. هكذا يصف الله تعالى الأنبياء و الرّسل:

«و لقد اخترناهم على علم على العالمين» (الدخان(٤٢)/٣٢)

«و إنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» (ص(٣٨)/٤٧)

و يقول سبحانه فى شأن النبيّ موسى٧:

«و اصطنعتک لنفسي» (طه(٢٠)/٤١)

و نرى أعلى درجات هذا القرب في علوّ درجة النبيّ الخاتم٦ أنّ الله تعالى أقسم به مُخاطِباً له: «لعمرک إنّهم لفي سكرتهم يعمهون» (الحجر(١٤)/٧٢)

و يريد الله رضا هذا العبد المقرّب، فيقول: «و لسوف يعطيک ربّک فترضى» (الضحى(٩٣)/ ٥).

٩. فرسول الله عبد لله تعالى، لكن أيّ عبد! حتّى أنّ الله تعالى في علوّ قدره و سموّ مكانه يحبّ رضا هذا المخلوق الكريم.

و نحن نؤمن بكلّ الأنبياء و الرّسل: «و المؤمنون كلّ آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله»، و

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-30]

يقولون: «لا نفرّق بين أحد من رسله» (البقرة(٢)/٢٨٥)؛ يعنى أنّهم معصومون كلّهم؛ و كلّ واحد منهم آية من آيات الله القدّوس السبّوح في كماله و قداسته و نزاهته و برائته من أيّ ظلم و نقص و عيب و شين.

فإن جائنا نصّ موثق تلوح منه نسبة الخطأ و السهو إليهم، يجب تأويله على أساس العقل إلى محكمات العقائد، كما فعل العلّامة السيد الشريف المرتضى علم الهدى (المتوفى سنة ٤٣٦) في كتابه القيّم «تنزيه الانبياء».

فروح النبوة يتجلّى في قبول العصمة الإلهية للأنبياء، و نور الرسالة يظهر في برائة الرّسل من الظلم و النقصان و الخطأ.

١٠. ثم نفتح هنا باباً آخر و نقول:

خاتمية الرّسول الخاتم تقتضى الحفاظ على هذا الشأن الإلهيّ و الموهبة الرّبّانية. لذلک نقيّم كلّ شخص - سيّما فى القادة و الأعلام - على أساس هذا الحفاظ و الجهد في دفع ما يُريب معنوية رسول الله، بل رسل الله كلهم من أبى البشر آدم حتى السفير الخاتم صلوات الله عليهم اجمعين.

على أساس هذه الأطروحة نستطيع أن نتكلّم فى الامام ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق سلام الله عليه بأنّه وصيّ رسول الله و وارث علمه و حكمته و محيى سنّته و شريعته؛ لأنّا نجد في حين أنّهم ينسبون أيّ نسبة شنيعة إلى رسول الله - تجلّ ساحة القلم عن ذكرها- يدافع الإمام الصادق عن جدّه الأكرم و يبيّن مكانه الأسمى للناس.

١١. فالباحث يجد في صفحات الكتب المعتبرة عشرات من الأخبار و الأحاديث و الآثار المرويّة عن مولانا الإمام الصادق سلام الله عليه في هذا المجال؛ نختار منها كتاباً واحداً كنموذج؛ و هو بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار:؛ و نختار مجلّداً واحداً من تمام هذا الكتاب العظيم الضخم - الذي يبلغ ١١٠ مجلّداً - في بيان بعض الشؤون من عظمة الرسول الأعظم٦، و هو المجلد السابع عشر. نقتصر منه بنقل بعض الاحاديث المروية عن سيدنا الامام الصادق٧ فى هذا المجال. و من الله التوفيق.

أ. عن فضيل بن يسار عن أبي عبدالله٧ قال: إنّ الله عزّوجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه. فلمّا أكمل له الأدب، قال: «انّک لعلى خلق عظيم» (القلم(٦٨)/٤) .... و إنّ رسول الله كان مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس، لا يزلّ و لا يخطىء في شى ء مما يسوس به الخلق... (بحار الانوار ج ١٧ ص ٤ و ٥

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-30]

حديث ٣)

ب. عن ابن خنيس عنه٧ قال: ما أعطى الله نبياً شيئاً إلّا و قد أعطاه محمّداً. (نفس المصدر، ص ١١ ح ٢٠)

ج. عن ابن سنان عنه٧ قال: لما نزلت على رسول الله٦: «ليغفر لک الله ما تقدم من ذنبک و ما تأخر» (الفتح (٤٨)/٢) قال: يا جبرئيل! ما الذنب الماضي و ما الذنب الباقي؟ قال جبرئيل: ليس لک ذنب يغفره لک. (المصدر، ص ٩٠ ح ٢١).

قال العلّامة محمد باقر المجلسي في بيان الحديث، مستفيداً من أحاديث أخر: لعلّ المعنى أنّه ليس المراد ذنبک، إذ ليس لک ذنب، بل ذنوب أمّتک، أو نسبتهم اليک بالذنب، او غير ذلک. (المصدر، ص ٩٠)

د. عن المفضّل عنه٧: إنّ الله تبارک و تعالى جعل للنّبيّ خمسة أرواح - إلى أن قال في شأن روح القدس: و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يسهو، و الأربعة الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو. و روح القدس ثابت يرى به ما في شرق الارض و غربها و برّها و بحرها. (المصدر، ص ١٠٦ ح ١٦)

١٢. و نختم الكلام بكلمة قيّمة تكلّم بها٧ فى تفسير قوله تعالى: «و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون» (التوبة (٩)/١٠٥). عسى أن نحذر و نخاف في أعمالنا، و نستحيي من وليّنا فى النّعم كلّها، الخبير بأعمالنا بدقّة و ضبط، و الوالد الروحي لكلّ الأمّة الذي يتعب نفسه - و لحدّ الآن - فى سبيل هداية الأمّة و اولاده المعصومين، سيّما الإمام المهديّ صلوات الله عليه و على آبائه الطاهرين.

«عن سماعة عنه٧ قال: ما لكم تسوؤون رسول الله؟ فقال له رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ اعمالكم تُعرض عليه؟ فإذا رأى فيها معصية سائه ذلک. فلا تسوؤوا رسول الله و سرّوه». (المصدر، ص ١٣١ ح ٥)

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-30]